مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 29، أكتوبر 2021، ص - ص: 337 – 350
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

مصطلح الدعوة بين التأسيس القرآني والتناول الفكري

Preaching term between the Quranic foudation and the intellectual engagement

د/ عبد الباسط دردور
كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة1
abdelbasset.derdour@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2020/12/30 تاريخ القبول: 2021/03/18

الملخص:
يعالج هذا الموضوع إحدى أهم المشكلات التي تواجه الدعوة في العصر الحديث، وذلك من حيث التعامل مع مصطلح الدعوة في دلالته بعيدا عن نصوص الوحي، وفهم المتقدمين.
لذا فإن هذه الدراسة سوف تتتبع دلالات المصطلح من خلال منهج استقرائي استنباطي لنصوص الوحي، وكتابات المتقدمين، والبحث أيضا عن المفردات والمصطلحات التي ترادف مصطلح الدعوة بالمنهج نفسه، وبالتالي الخروج بمجموعة من النتائج حول المفهوم القرآني لمصطلح الدعوة الغائب في أغلب أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر.
الكلمات المفتاحية: مصطلح الدعوة، الخطاب الإسلامي المعاصر، المفهوم القرآني.

Abstract:
This study treats one of the main problems, which faces the Islamic preaching in modern era, far from the texts of Quran and Sunnah, and the ancient understandings. This article follows the significations of the term through inducting the texts and writings. And searching the terms and words nearer to the term of preaching. This research concluded some results about the quranic term of preaching, which is absent in the modern Islamic thought.
Key words: Preaching term, Modern Islamic calling, Quranic notion.

مقدمة:

إن هذا الموضوع يتناول أهم المشكلات التي تواجه الدعوة في العصر الحديث، في سياق ما يسمى بحرب المصطلحات، والتي تقوم بضرب الإسلام في صلبه، وتهديده في أسسه ومبادئه، وذلك من منطلق التعامل مع مصطلح الدعوة في دلالته بعيدا عن نصوص الوحي، وفهم المتقدمين، مما حاد بكثير من الكتابات إلى الاجتهاد في مصطلحات تعد من المصطلحات الدينية بامتياز. والذي يعده الباحث مسوغا علميا قويا، ودافعا ذاتيا للإفادة والإثراء.

لذا فإن الباحث سوف يقوم بدراسة هذا الموضوع، بتحديد الأبعاد الحقيقية لإشكالية فهم مصطلح الدعوة وخلفيته المعرفية والفكرية، التي تقوم على التمييز بين المصطلحات من حيث أنها مصطلحات دينية ثابتة في كل زمان ومكان، يمتد تأثيرها إلى عالم الآخرة، أم أن تأثير هذه المصطلحات يبقى حبيس هذه الدنيا الفانية؟

وهذا يستدعي منا تتبع دلالات هذا المصطلح منهجيا عن طريق الجمع بين الطريقتين الاستقرائية والاستنباطية، وذلك باستقراء نصوص الوحي، وكتابات قدماء المفسرين والإخباريين، لحصر الجزئيات والوقائع وفحصها، ثم تنظيم تلك المعلومات للخروج بتعريف الدعوة في الاستعمال القرآني.

وكذلك البحث بالمنهج نفسه عن المفردات والمصطلحات التي ترادف مصطلح الدعوة، لتتضح أكثر الصورة الحقيقية والمتكاملة للمصطلح، وأخيرا الخروج بمجموعة من النتائج حول المفهوم القرآني لمصطلح الدعوة الغائب في أغلب أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر. والتي مفادها أن مصطلح الدعوة مصطلح ديني دلالته ثابتة وقابلة للتطبيق منذ نزول الوحي إلى قيام الساعة مثل غيره من المصطلحات الدينية الأخرى.

ولعل هذه الدراسة بداية لتحفيز الباحثين لتناول هذا الموضوع بالمناقشة والإثراء، ومراجعة وتقييم الفكر الدعوي وتطبيقاته عبر مراحل التاريخ الإسلامي.

أولا: إشكالية فهم المصطلح ودلالاته في أدبيات الفكر الإسلامي

01- تحديد أبعاد الإشكالية في فهم المصطلح

قبل التعرض إلى تأصيل مصطلح "الدعوة" وتحليل دلالته الشرعية نجد أنه من الضرورة بمكان أن يتم تناول مسألة المصطلحات الدينية هل هي من الثوابت بحيث لا يتسع نطاق دلالتها أكثر مما دلت عليه في عصر نزول الوحي والعصر الإسلامي الأول؟ أم أنها من المتغيرات التي تتكيف وتتبدل مع تغير الظروف والأزمان؟ فتتوسع حينا وتنكمش حينا آخر مرورا عبر صياغات تبتعد كلا أو جزءا عن تلك التي كانت عليها في عصر التنزيل[1]. ومن المعروف في ميادين أخرى أن السياق المعرفي والفكري للمصطلحات في كثير من الأحيان تمر بمراحل تطورية متلاحقة التغير، ومواكبة لتغير الظروف والمحيط الذين يدور فيهما هذا المصطلح أو ذاك.

فمصطلح **"العلم"** مثلا له دلالة خاصة في المحيط الجاهلي عند العرب قبل الإسلام، إذ يعد إطلاقه في ذلك الوقت على ما يقابل الجهل بفنون الشعر، والكهانة، والقيافة، والخطابة والأنساب وغيرها، وحين ظهر الإسلام تغير مفهومه ليدل على ما يقابل الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة التي جاء بها القرآن أو حدث بها المصطفى ﷺ.

ولما ازدادت المعارف تطور مصطلح العلم إلى دلالة أوسع، حيث صار اسما لما يقابل الجهل بما ظهر من المعارف والفنون الجديدة، نحو الفقه والتفسير والتاريخ، والنحو والصرف والبلاغة، وعلم الكلام والمنطق وغير ذلك، ثم شهد مصطلح العلم دلالة أكثر رحابة واتساعا على إثر ظهور وانتشار العلوم الكونية عند العرب وتشعب المعلومات لديهم كعلم الفلك والطب والجبر وغير ذلك.

أما في المحيط الأوروبي اتخذ لونا آخر من الدلالة. فهو عندهم عبارة عن مجموع المعارف الإنسانية المؤيدَة بالدلائل الحسية وجملة النواميس التي اكتشفت لتعليل حوادث الطبيعة تعليلا مؤسسا عليها، وصارت دلالته أكثر تخصصا إذ أصبح لا يطلق إلا على المعارف التي تقع تحت أحكام الحواس وتخضع لامتحانها[2]. بل أصبح مفهوم العلم الآن تتسع دلالته للعلم بتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة.

ومثل مصطلح العلم نجد مصطلحا آخر هو مصطلح **"السياسة"** فقد كان من قبل عبارة عن نشاط سلطوي محوره " الحاكم"، فتطورت دلالته مع تقدم النظرة التصحيحية وتحسن المواقف السلوكية من قبل الحكام اتجاه المحكومين، وظهور صيغة من التعامل المعقول- إلى حد ما- بصورة الحكم الديمقراطي في أحد الاعتبارات، وفي ظل الحريات و المواثيق الدولية حول حقوق الإنسان. الأمر الذي جعل مصطلح "السياسة " يتخذ لونا متقدما من الدلالة، فهو الآن عبارة عن " نشاط إنساني محوره الإنسان"[3].

إن هذا النوع من التطور والتغير في هذا النوع من المصطلحات من حيث المحددات والدلالات في مجالات أخرى غير الدين لا تكون عواقبها وخيمة ما دام الأمر متعلق بهذه الحياة الأرضية الفانية، وإن الشقاء والسعادة، والحسن أو القبح سيزول إلى غير رجعة مع زوالها.

ولكن الأمر حين يرتبط بالدين يكون عسير العواقب، شديد الخطورة؛ إذ الحسنات والسيئات هنا ترتبطان بمسألة أبدية من حيث إن مصير الإنسان الأبدي سوف يتحدد وفقا للتصورات والمفاهيم الدينية التي حملها في حياته الدنيوية، ومن هنا تأتي الأهمية القصوى لوجوب كون المصطلحات الدينية بينة واضحة وثابتة، حتى لا تتغير الأهداف وتتباين المنطلقات، وحتى لا يقبل المؤمن باسم الدين ما ليس دينا ضانا منه أنه يحسن صنعا[4].

وبسبب هذه الخطورة لم يدع الشارع الحبل على الغارب، بل قام بحسم الأمر بتحديد مدلول المصطلحات الدينية كعادته تحديدا دقيقا كما[5] وكيفا[6] وإقامة نماذج عملية حية لها، ناعتا كل خارج عنها بأنه مارق عن الدين خارج عنه.

فمصطلح "**الصلاة**" التي تعني في اللغة "الدعاء والاستغفار"[7] قد حدد له الشرع مدلوله الديني الخاص به، فقد صلى جبريل برسول الله ﷺ مبينا مدلول هذا المصطلح ومضمونه وحدوده[8] ثم صلى رسول الله ﷺ أمام أصحابه طالبا أن يكون فهمهم لهذا المصطلح وتطبيقهم له على أساس هذا النموذج فقال:(صلوا كما رأيتموني أصلي)[9].

هذه الدلالة المحكمة لمصطلح الصلاة لا دخل لأي عقل بشري في تحديدها وليس ثمة أي إمكان لإحداث أدنى تغيير أو تجديد فيها مهما تقلبت العصور والأزمان أو طرأت الطوارئ، وسيكون من الافتراء على الله ورسوله لو أعمل أحد عقله في هذا الشأن، ويقول بأن مصطلح الصلاة يجب أن يحمل على معنى الدعاء والاستغفار فقط، وذلك نظرا إلى تعقد الحياة المعاصرة وكثرة مشاغل الإنسان الحديث.

وهذا الذي صح عن مصطلح الصلاة ينطبق تماما على مصطلحات دينية أخرى، والتي من بينها مصطلح (**الدعوة**). فهذا المصطلح له أيضا دلالة خاصة غير قابلة للتغيير، تلك الدلالة التي غمضت على كثير من الناس قديما وحديثا، مما يوجب تناول هذا المصطلح بشيء من التوضيح والتفصيل حتى يزول الخلط وينتفي اللبس، وينقى هذا المصطلح مما علق به من الشوائب[10].

02- مصطلح الدعوة في أدبيات الفكر الإسلامي

تناول الكثير من العلماء والباحثين والمفكرين والدعاة مصطلح الدعوة بتعريفات شتى متباينة ومختلفة، فمن المتقدمين نجد تعريف ابن تيمية لها بقوله: (الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه)[11].

ومن المعاصرين يعرفها الشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني بأنها: (الطلب بشدة وحث على الدخول في دين الإسلام اعتقادا وقولا وعملا ظاهرا وباطنا)[12]. وعرفها أحمد غلوش في كتابه: [الدعوة الإسلامية] بأنها: (العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقا...))[13]. وذهب باحث آخر إلى تعريفها بأنها "قيام المسلمين المؤهلين، دولة، وأمة وأفرادا، بتبليغ الناس كافة، وحثهم على اتباع الإسلام إيمانا وعملا ومنهاج حياة بطرق مشروعة مخصوصة"[14]. وآخر عرفها بأنها: "الطلب بشدة وحث على الدخول في دين الإسلام اعتقادا وقولا وعملا ظاهرا وباطنا"[15].

وقد عرفها البهي الخولي في كتابه: [تذكرة الدعاة] بأنها: (نقل الأمة من محيط إلى محيط). وعرفها د. رؤوف شلبي في كتابه: [الدعوة الإسلامية في عهدها المكي] بقوله: (الدعوة عملية إحياء لنظام ما لتنتقل

الأمة بها من محيط إلى محيط). وهناك من أدخل في تعريف الدعوة أهدافها وغاياتها كما فعل الشيخ محمد الغزالي في كتابه: [مع الله]، فقال عنها: (برنامج كامل يضم في أطواره جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين). وكما فعل الشيخ آدم عبد الله الألوري في كتابه: [تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم] فقال عنها: (صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضا ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها أو معصية كادت تحدق بهم)...[16].

وعندما ذكر البيانوني في كتابه [علم الدعوة] جزء من اختلافات وتعدد تعريفات الدعوة لدى الكتاب والباحثين تبعا لاختلافاتهم في تحديد معنى الدعوة من جهة، وتفاوت نظرتهم من جهة أخرى، قال بأنه لم يقف على تعريف سابق دقيق وشامل لحقيقة هذا العلم، فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها بيان وتبليغ لما جاء به الإسلام فحسب، وهناك من نظر إليها على أنها علم وتعليم، وجردها عن الجانب التطبيقي التنفيذي..

كما نجد أن البيانوني في هذا الجو من الاختلافات استنتج التعريف الاصطلاحي للدعوة من معناه اللغوي، الوارد في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو: الدعوة في اللغة (الطلب والحث على الشيء، والسوق إليه..)، فيتضمن معنى الدعوة إلى الإسلام طلب الناس وسوقهم إليه، وحثهم على الأخذ به.. ورأى أن تعريف الدعوة الإسلامية اصطلاحا لتشمل مراحل الدعوة الثلاث التبليغية والتكوينية والتنفيذية بأنها: (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة)[17].

وهناك من عرفها تعريفا عاما يمزج بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة، كما فعل الشيخ محمد الراوي في كتابه: [الدعوة الإسلامية دعوة عالمية] فقال: (هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات). وهناك من قصر التعريف على بعض جوانبها، كما فعل الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه: [الدعوة إلى الإصلاح]، فعرفها: (حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل). واعتمد هذا التعريف الشيخ علي محفوظ في كتابه: [هداية المرشدين].

كما أورد الدكتور السيد محمد نوح في كتابه: [منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبيه التربوي والدعوي][18]، مجموعة من التعريفات الاصطلاحية للدعوة منها تعريف الدكتور السيد محمد الوكيل أن: (الدعوة إلى الله هي جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104). وتعريف الشيخ محمد الصواف: (الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ (آل عمران: 19)، ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلا عنها: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85).

أما تعريف الأستاذ فتحي يكن اتخذ منحا آخر باعتبارها حركة هدم وبناء بقوله: (فالإسلام دعوة - هدم وبناء- هدم الجاهلية بكل صورها وأشكالها..، سواء أكانت جاهلية أفكار أم جاهلية أخلاق، أم جاهلية نظم وتشاريع...، ومن ثم بناء المجتمع على (قواعد الإسلام) في شكله ومحتواه..، في مظهره وجوهره..، في نظام حكمه... وأسلوب عيشه...، في تطلعه (العقيدي) للكون والإنسان والحياة)[19].

أما تعريف الدكتور توفيق الواعي هي: (جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بتنفيذ منهج الله في الأرض قولا وعملا، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، والصبر

والمصابرة على أعباء البلاغ مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: 18).

أما تعريف الداعية والمفكر الجزائري الطيب برغوث الذي اجتهد أن يوظف في تعريفه للمصطلح جملة المقاربات اللغوية والتعاريف الاصطلاحية السابقة، وتأمل النصوص القرآنية ومقاصد الشريعة الإسلامية قوله: (.. ذلك الجهد المنهجي المنظم الهادف إلى: تعريف الناس بحقيقة الإسلام، وإحداث تغيير جذري متوازن في حياتهم على طريق الوفاء بواجبات الاستخلاف، ابتغاء مرضاة الله تعالى، والفوز بما ادخره لعباده الصالحين في عالم الآخرة)[20].

وللدكتور أحمد عيساوي محاولة لصياغة تعريف للدعوة الإسلامية، بعد تأكيده بأن للدعوة عموما تعاريف اصطلاحية كثيرة جدا، وللدعوة الإسلامية خصوصا أيضا تعاريف اصطلاحية عديدة، مما جعله يجتهد في استخلاص تعريفا توصل إليه من خلال تتبعه ودراسته لدعوة الأنبياء في القرآن الكريم، متبينا فيه أركان الدعوة ومنطلقاتها ومناهجها ووسائلها وأساليبها، وكما ذكر بأن هذا التعريف ما هو إلا محاولة في صرح البناء الدعوى ليس غير، حيث يقول بأن الدعوة الإسلامية: (هي محصلة النشاط الاتصالي الشمولي الذي يمارسه الدعاة الإسلاميون في مرحلتي التغيير والبناء على الصعيدين المحلي والعالمي، بهدف التعريف برسالة الإسلام، التي أنزلها المولى تبارك وتعالى على نبيه محمد ﷺ، وذلك عبر مختلف الوسائل والتقنيات الحضارية الممكنة، تأسيسا على الأطر المرجعية المقدسة منطلقا وممارسة ومنهجا وأسلوبا وهدفا)[21].

ولعل من أشهر المحاولات لصياغة تعريف للدعوة في الفكر الإسلامي المعاصر تعريف سيد محمد سيد بأنها: (هي الجانب التبشيري بالعقيدة، وهي تكاد توازي مفهوم الإعلام بالإسلام والتعريف به)[22].

ويلاحظ مما سبق عرضه اختلافا وتباينا واضحا بين العلماء والباحثين في تعريفهم للدعوة، وهو خلاف مرده اختلاف نظرتهم إلى الدعوة ذاتها من حيث أهميتها ودورها في واقع الناس، كما يلاحظ على كثير من هذه التعريفات أنها ظلت حبيسة جانب معين من جوانب الدعوة، كما قصر بعضها الآخر على تحقيق أهداف الدعوة، ومنهم من ركز على الآليات والوسائل الكفيلة بتحقيق العمل الدعوي، ومنهم من قصرها على مجرد البلاغ دون استتباعها بالجانب التطبيقي، ومنهم من توسع في تعريفها إلى حد التكلف.

أضف إلى تعدد هذه التعريفات أن بعضها يحتاج إلى شرح وتوضيح، وفي مجملها تتناقض مع مبدأ شرط التعريفات العلمية التي يجب أن تكون جامعة مانعة –هذا إذا اعتبرنا أن الدعوة علم- وهو ما نفتقده في أغلب التعريفات لمصطلح الدعوة في أدبيات الذين كتبوا في مجال الفكر والدعوة الإسلامية المعاصرة.

ومما يلاحظ أن جل تلك التعريفات التي مرت يغيب عنها محور أساسي في الفهم الشامل للمصطلح، وهو البعد الأخروي، وهو قصد النجاة في الآخرة والتي دلت عليها الآيات القرآنية كما سيأتي توضيحه فيما يلي.

ثانيا: مفهوم ودلالة الدعوة في اللغة وفي الاستعمال القرآني.

01- مفهوم الدعوة في الاصطلاح اللغوي

دعا بالشيء دعا دعوا، ودعوة ودعاء ودعوى: طلب إحضاره يقال: دعا بالكتاب، ودعا إلى الشيء: حثه على قصده[23]. وجاء في المصباح المنير: دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير ودعوت زيدا: ناديته[24].

وبالنظر في هذه التعاريف يتبين أن الدعوة لغة تطلق ويراد بها: النداء والطلب والسؤال، وغيرها من المعاني الأخرى كالعبادة، والتسمية، والنسب والإلحاق، والطلب للطعام، والحث على فعل الشيء، والهاء للمبالغة (داعيه).

وجاء في لسان العرب لابن منظور: دعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه. والاسم: الدعوة ودعوت فلانا: أي صحت به واستدعيته. دعوا: النداء. ويشرح قوله تعالى: "﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: 46) معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه". "والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داعٍ، ورجل داعيةٌ إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين..."[25]؛ فالدعوة على حد رأي ابن منظور تتضمن **احتمالين**: إما الدعوة إلى **بيعة هدى**، وإما إلى **بيعة ضلالة**. والمدلول القرآني لـ: الدعوة شمل كلا المعنيين كما يأتي.

02- مفهوم الدعوة في الاستعمال القرآني

بناءً على رأي ابن منظور واستقراء الآيات الدالة على المعنى الأول (الدعوة إلى بيعة هدى) نجد الآيات الآتية: قول تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: 108). وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ (الرعد: 36). وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: 125). وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ (الأعراف: 193). وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: 25). وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (آل عمران: 104). وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (الحج: 67). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ (الصف: 61).

وباستقراء الآيات الدالة على المعنى الثاني (الدعوة إلى ضلالة) نجد الآيات الآتية: قول تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: 221). وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (القصص: 41). وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان: 21). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: 6).

ومن الملاحظ في النصوص القرآنية الآنفة الذكر أن المضمون الدعوي فيما إذا كان (بيعة هدى) أم (بيعة ضلالة) نجد له توضيحا في مجرور (إلى) في كلا النمطين من الآيات. وقد يتحدد هذا المضمون نظرا إلى السياق وحالة القائل، فإذا كان رسولا أو صالحاً من العباد فإن المضمون الدعوى سيكون حتما (بيعة هدى) ومثال ذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (نوح: 5)، فهذه الآية رغم أنها لم تحدد ما الذي دعا إليه نوح، غير أن ورودها على لسان النبي دل بداهة على أنه دعوة إلى بيعة هدى.

وعلى عكس من ذلك، فإن وروده على لسان إبليس أو أحد من حزبه سيعني حتما دعوة إلى ضلالة. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (إبراهيم: 22). وهذا يقودنا إلى القول بأن مصطلح الدعوة ليس من الضرورة بمكان أن يرد مقرونا بما يدعى إليه، فيقال مثلا: (الدعوة إلى الله) أو (الدعوة إلى الإسلام) بل يكفي وروده في سياق أو محيط محدد ليكون دالا على مضمون محدد. فإذا أطلقت (الدعوة) في المحيط الإسلامي فإنها ستعني بداهة الدعوة إلى بيعة هدى. على هذا الأساس يمكن

القول بأن مصطلح (**الدعوة**) الذي نتناوله اليوم في محيطنا الإسلامي، المقصود به الدعوة إلى بيعة هدى سواء أوردت لفظة الدعوة مجردة أم مقرونة بما يدعى إليه.

أما ما الذي تعنيه الدعوة إلى بيعة هدى؟ فإن توضيح ذلك بدقة يحتاج إلى شيء من التمعن والتبيين. وفي هذا الإطار لو رجعنا إلى النصوص القرآنية فإننا نخلص منها إلى أن الدعوة وردت في سياقات عدة واستعمالات مختلفة متقاربة المعنى وذلك كالآتي: **الدعوة إلى الله. والدعوة إلى الهدى. والدعوة إلى دار السلام. والدعوة إلى الإيمان بالله. والدعوة إلى الجنة والمغفرة. والدعوة إلى سبيل الله. والدعوة إلى النجاة. والدعوة إلى الخير. والدعوة إلى صراط مستقيم**. وإذا رتبنا ما ورد في هذه الآيات فإننا نجدها تتوزع على ثلاثة محاور:

1 ـ **الدعوة إلى النجاة في الآخرة**، وتدل عليها ألفاظ كل من: دار السلام[26]؛ الجنة والمغفرة؛ النجاة.

2 ـ **الدعوة إلى دين الله والإسلام** وتشير إليه ألفاظ كل من: الصراط المستقيم[27]؛ سبيل الرب[28]؛ الهدى والخير[29].

3 ـ **الدعوة إلى الله**، ويشير إليه كل من: الإيمان بالرب؛ الدعوة إلى الله.

وعلى ضوء هذه المحاور الثلاثة لو أردنا تحديد دلالة مصطلح الدعوة فإنه يعبر عنه: (الدعوة تعني: دعوة الناس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، وبمقتضيات هذا الإيمان[30] بقصد النجاة في الآخرة)[31].

ثالثا: مفهوم ودلالة الدعوة في السنة النبوية وقدماء المفسرين وأصحاب السير.

01- مفهوم ودلالة مصطلح الدعوة في السنة النبوية الشريفة

ومما يؤكد هذا المفهوم وهذه الدلالة لمصطلح الدعوة، تخصيص رسول الله ﷺ مصطلح (الدعوة) للدعاة إلى هذا المفتاح: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله). وأما إخبار المؤمنين عما يقتضيه هذا الإيمان وما يترتب عنه من التشريعات والأحكام فلم يسمه ﷺ دعوة بل عبَّر عنه بمصطلحات و تعابير أخرى كما يتضح من هذا الحديث الذي رواه البخاري: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا زَكَرِيَّاءُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)[32].

والواضح من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ حين أراد التعبير عما سيقوم به معاذ تجاه قوم غير مسلمين للنطق بالشهادة، عبر عنه بالدعوة فقال: (إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ) أما حين أراد التعبير عما ينبغي أن يفعله معاذ ﷺ تجاه الذين سينطقون بالشهادة من إخبارهم عن الفرائض من صلاة وصوم وزكاة، فعبر عنه بالإخبار فقال: (فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ) وذلك بقصد التمييز بين نشاطين مختلفين عبر مصطلحين منفصلين لئلا يختلط الأمر على الأمة فتترك هذا على حساب ذلك[33].

وفعلا هذا ما وقع فيه العمل الإسلامي المعاصر مستنفذا قواه وجهده ونشاطه على حساب العمل الدعوي الحقيقي[34]، ولعل هذا الحديث يعد نموذجا من نماذج الإعجاز الاصطلاحي في السنة النبوية الشريفة، نظرا لمنتهى دقته ﷺ في تحديد وضيفة ودلالة العبارات والألفاظ المستعملة في الحديث الشريف.

02- مفهوم ودلالة مصطلح الدعوة عند قدامى المفسرين وأصحاب السير.

وقد كان هذا التمييز واضحا في العصور الإسلامية الأولى، لذا نرى المفسرين القدامى يجعلون شهادة (أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) هي ما يدعى الناس إليها.

يقول ابن كثير في تفسير الآية: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: 108): (يقول تعالى لرسوله إلى الثقلين الإنس والجن آمرا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعوا إلى الله بها على بصيرة ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعوا إلى ما دعا إليه رسول الله على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)[35].

ويقول الزمخشري في تفسير الآية نفسها:(هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي)[36]. ومن المؤكد أن ذلك لا يكون إلا لقوم لم يؤمنوا بالله ولم يوحدوه بعد. لذلك جعل ابن الجوزي خطاب هذه الآية لقوم مشركين فيقول في تفسيرها: (قل يا محمد للمشركين: هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، سبيلي)[37]. ومن هنا أيضا يرجع مقاتل الضمير في قوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ إلى أهل الكتاب[38].

وبسبب هذه الرؤية البينة فيما يتصل بتمييز دلالة المصطلحات لدى المتقدمين فنجد مثلا: **محمد بن إسحاق** يصف عمل خالد بن الوليد الذي قام به تجاه أهالي نجران من غير المؤمنين بالدعوة في أن ما قام به خالد نفسه في وسط إسلامي من تثقيف المؤمنين وتحصينهم بالتعليم[39].

وبذلك نخلص إلى أن الأصل في الدعوة إلى الإسلام أن تكون لغير المسلمين، وقد تكون لبعض المسلمين حينما تكون حالهم مثل حال غير المسلمين[40]. وإذا أردنا الدقة أكثر يمكننا القول بأن الدعوة: عبارة عن دعوة الناس إلى ذلك القدر من الإيمانيات الأساسية التي تحقق المستوى الأدنى من النجاة في الآخرة وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وكذلك إلى الاعتقاد بسائر ما لا يكون المرء مسلما إلا بالإيمان به. الأمر الذي يضمن أقل قدر من النجاة في الآخرة[41].

ليس يعني اختصاص مصطلح الدعوة لغير المسلمين أن نذر المسلمين المنحرفين عن دينهم في غيهم يعمهون بل من الواجب على أولي الأمر من العلماء والحكام والمشرعين والأولياء، أو كل من له مسؤولية وولاية عامة أو خاصة، أن يقوموا بواجب مسؤوليتهم تجاه هؤلاء إشفاقا عليهم، لأنهم سيتعرضون للمساءلة يوم القيامة وللعذاب الأليم، وكذلك إبقاء مجتمع المؤمنين مجتمعا صالحا بعيد كل البعد عن الآفات الاجتماعية والأخلاقية، تلك هي مسؤولية أخرى غير الدعوة، طولب المسلمون أن يقوموا بها بين إخوانهم في العقيدة والدين.

وقد حدد لها الشارع مصطلحات تخصها وتناسبها فسماها "التذكير" تارة: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 2)، وبـ "الأمر بالمعروف والنهي عن النكر"، تارة أخرى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 71) وسماها بـ "التواصي بالحق والتواصي بالصبر"، تارة: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: 1-3) وبـ " الإصلاح " تارة أخرى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال: 1)[42].

كما سماها بـ " الوعظ والوصية " أيضا: " عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة مودع ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال رجل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا[43] فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[44].

رابعا: المصطلحات التي ترادف مصطلح الدعوة

01 مصطلح الإنذار:

لقد ورد مصطلح " الدعوة" في القرآن الكريم دالا على عمل النبوة. وهذا العمل النبوي لم يعبر عنه القرآن بـ "الدعوة " فحسب. بل عبر عنه بمصطلحات أخرى ترادفها. وربما يساعد إيراد بعض منها في تجلية معنى " الدعوة" بدقة وتحديد أكثر من حيث إنها تعبيرات مختلفة عن معنى واحد. ومن تلك المترادفات مصطلح "الإنذار" الذي وردت مادته إخبارا وإنشاء في مائة وثمانية وعشرين موضعا من القرآن الكريم[45].

وهو لغة كما يقول أبو السعود " إعلام المخوف للاحتراز عنه"[46] أو أنه كما يقول القرطبي الإبلاغ والإعلام، ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز، فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان إشعارا ولم يكن إنذارا "[47].

يختص بهذا الإنذار قوم غير مؤمنين يطمع في إيمانهم بالتخويف من عذاب الجحيم الذي سيقاسونه حتما إن لم يؤمنوا. يدل على هذا الاختصاص قوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: 46)، ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (السجدة: 3)، ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف: 12)، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الكهف: 1-2)، ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ (القمر: 41)، ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: 2).

وقد أكد المفسرون على هذا الاختصاص، فيقول القرطبي، مثلا، في تفسير الآية الأخيرة: " والإنذار للكافرين، والذكرى للمؤمنين[48] أما الألوسي فيقول في تفسيره: "وتخصيص التذكير بالمؤمنين لأنهم المنتفعون به أو للإيذان باختصاص الإنذار بالكافرين"[49]. ويقول ابن كثير: "لتنذر به" أي أنزلناه إليك لتنذر به الكافرين"[50].

وإذا كانت صيغة الإنذار الصادرة من رسل الله الكرام تتوجه إلى غير المؤمنين[51]، وجميع الأنبياء مطالبون بها بغية إحداث الإيمان في قلوب غير المؤمنين بهدايتهم، فذلك يدل دون ريب عن اتحاد مضمونه بـ (**الدعوة**) من حيث إن كلا منهما يعني دعوة الناس لإنقاذ أنفسهم من المصير المأساوي "جهنم " بتحقيق الإيمان في قلوبهم.

وبسبب هذا الاتحاد في المضمون والمحتوى بين هذين المصطلحين حين كان الله يأمر أنبيائه بصيغة " **أنذر**" فإنهم ما كانوا يفهمون منها غير الدعوة. مثاله ما حدث مع النبي الخاتم محمد ﷺ حين طلب الله إليه أن يبدأ دعوة الناس علنا قائلا: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: 214) فكان أن فهم منه النبي ﷺ بأنه قد كلف بدعوة قومه خاصة والناس عامة[52]، فقال، بعد أن جمع بني عبد المطلب على مائدة في بيته:" **يا**

بني عبد المطلب، إني بعثت إليكم خاصة و إلى الناس عامة"، ثم صعد الصفا فقال: **"أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني"**؟ قالوا: نعم، قال: **"فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"**[53] هكذا نتلمس تمازج مفهوم ودلالة مصطلح **الدعوة** بمصطلح **الإنذار** بحيث يمكن إطلاق أحدهما بدل الآخر حسب حالة المدعويين[54].

02 مصطلح التبليغ:

نفس الشيء بالنسبة للفظة (**التبليغ**) التي وردت مادتها في القرآن الكريم بالمفهوم ذاته قرابة خمس وعشرين مرة، وهي تعني **لغة**: الإيصال[55]، و**اصطلاحا**: إيصال رسالة الله إلى إنسان أو مجموعة أناس لم تبلغهم الرسالة بعد، بهدف تحقيق الإيمان في قلوبهم أو إقامة الحجة الرسالية عليهم على أقل التقدير، يشير إلى ذلك الآيات القرآنية المتعلقة بالبلاغ التي دارت صراحة أو ضمنا في نطاق أناس لم يؤمنوا بعد أو يحتمل ألا يؤمنوا مستقبلا. يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: 20، الشعراء: 214)، ويقول تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: 92). ويقول تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: 82). ويقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (الشورى: 48)، ويقول تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ (الأعراف: 93).

فالتبليغ إذن، يستلزم الجهل بموضوعات الإيمان وبمقتضياته أو إنكارها بعد علمه بها، فيأتي التبليغ في هذه الصورة الأخيرة ليس لإزالة الجهل وإنما لشدة التأكيد وطمعا في تراجع الناس عن الإنكار.

أما إذا بلغ شخص موضوعات الإيمان ومقتضياته فآمن، ولكنه تراخى عن العمل والالتزام، فذهبنا لنذكره بغية دفعه إلى للعمل بما أمر الله فذلك لا يسمى تبليغا، بل هو تذكير ونصيحة بعد أن تم التبليغ. فالمسلم إذا لا يبلغ بل يذكر وينصح؛ فإذا نصحت مسلما لا يصلي إلى التزام الصلاة، فذلك لن يعني إطلاقا بأنني أبلغه الصلاة وإنما أحرضه عليها. وفي هذا السياق يأتي قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال: 65)، ولم يقل "بلغ المؤمنين القتال" إذ أن البلاغ قد تم في السابق وانتهى، فما بقي بعده إلا التحريض أو التحضيض أو النصح أو... الخ.

وفي هذ الإطار كان الأجدر على (جماعة التبليغ والدعوة) الهندية تسمية جماعتها غير هذه التسمية كجماعة الإصلاح أو التذكير أو...لأن توجهاتها وغاياتها تقتصر نظريا وعمليا في الغالب في إطار المسلمين.

على أية حال، فإن إطلاقات القرآن على مهمة الأنبياء والرسل **البلاغ** تارة و**الدعوة** و**الإنذار** تارة أخرى، تدل على دوران هذه المصطلحات الثلاثة في فلك واحد لتحقيق غاية واحدة، وهي إدخال الإيمان في قلوب غير مؤمنة إسعادا لها بالخلد في الجنة الأبدية أو إقامة للحجة الرسالية عليها على أقل تقدير.

الخاتمـــة:

إن منطلق التعامل مع مصطلح الدعوة في دلالته في أغلب أدبيات الفكر الإسلامي، بعيدا عن نصوص الوحي من جهة، وفهم المتقدمين من أصحاب السير والتاريخ من جهة أخرى، حاد بكثير من الكتابات إلى استعمال الاجتهاد مع مصطلحات تعد من المصطلحات الدينية ومن المصطلحات الثابتة المنجزة منذ مجيء الإسلام إلى اليوم. ولذلك أفضت هذه الدراسة، بعد تتبع وتحليل لمصطلح الدعوة والتأصيل لمدلوله القرآني، وحضور مدلوله في وعي كتابات المتقدمين، نخلص إلى النتائج التالية:

1. أن مصطلح الدعوة يطلق على نشاط البلاغ وسط أناس غير مسلمين، وبذلك فإن الأصل في الدعوة إلى الإسلام أن تكون لغير المسلمين، وقد تكون لبعض المسلمين حينما تكون حالهم مثل حال غير المسلمين.
2. إن ما يقوم به المؤمن تجاه المؤمنين، على اختلاف مستوياتهم في التدين والالتزام، له مصطلحات خاصة به غير الدعوة مثل: التحريض، والتحميس، والتذكير، والإصلاح، والوعظ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر... الخ. كما هو وارد وثابت في نصوص القرآن والسنة.
3. هناك تمازج و (ترادف) بين مفهوم كل من دلالة مصطلح الدعوة بمصطلح البلاغ، بحيث يمكن إطلاق أحدهما بدل الآخر لكن حسب حالة المدعوين.
4. هناك أيضا تمازج و(ترادف) بين مفهوم كل من دلالة مصطلح الدعوة بمصطلح الإنذار في الاصطلاح القرآني بحيث يمكن إطلاق أحدهما بدل الآخر لكن حسب حالة المدعوين أيضا.
5. نلاحظ إطلاقات القرآن على مهمة الأنبياء والرسل البلاغ تارة والدعوة والإنذار تارة أخرى، تدل على دوران هذه المصطلحات الثلاثة في فلك واحد لتحقيق غاية واحدة، وهي إدخال الإيمان في قلوب غير مؤمنة للنجاة يوم القيامة، أو إقامة الحجة الرسالية عليهم على أقل تقدير.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ت597ه، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط1987/4م.
2. ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1987/2م.
3. ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد ت275ه، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان (د.ت).
4. ابن منظور محمد بن مكرم ت711ه، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط1992/2م.
5. أبو السعود محمد بن محمد العمادي ت 951ه، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط (د.ت)
6. أحمد عيساوي، دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، ج1، دار الكتاب الحديث القاهرة، ط2012/1.
7. أحمد عيساوي، منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي، دار الكتاب الحديث القاهرة، ط2012/1.
8. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري القاهرة، ط1987/2م.
9. الألوسي شهاب الدين السيد محمود ت170ه، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار الفكر بيروت، ط1983م.
10. البعلي بدر الدين، مختصر فتاوي ابن تيمية، دار الكتب العلمية بيروت ط(د.ت)
11. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت297ه، الجامع الصحيح، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان (د.ت).
12. حسن الحسني، الإعلام والدولة، د. عبد اللطيف حمزة.
13. حسن صعب، علم السياسة، دار العلم للملايين بيروت، ط1985/8م.
14. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، دار إشبيليا الرياض، ط1997/2م.
15. الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ت 725ه، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار المعرفة بيروت، ط(د.ت)
16. الخطيب التبريزي ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت القرن 14 م، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، ط3/ 1985م.
17. الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي ت538ه، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار المعرفة بيروت لبنان، ط(د.ت).
18. الطيب برغوث، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، الطبعة الأولى، 1996م.
19. عبد الباقي محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان (د.ت).
20. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ط(د.ت).

21. عبد القادر حاتم، الإعلام في القرآن الكريم، فادي برس لندن، ط (د.ت).
22. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر ت 852ه، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الديان للتراث القاهرة، ط1988/2م.
23. فتحي يكن، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، مؤسسة الرسالة بيروت لبان، ط16.
24. الفيروزآبادي أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر ت871ه، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط1310،3ه
25. الفيومي أحمد بن محمد بن علي أبو العباس ت760ه، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت لبنان.
26. القرطبي أبو عبد الله محمد الأنصاري ت703ه، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي (د.ت).
27. الكاندهلوي يوسف، حياة الصحابة، دار القلم دمشق، ط1987/5م.
28. كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي (د.ت).
29. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1959م.
30. محمد شمس الحق صديق أحمد، الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وأفاق المستقبل، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ط2001/1م.
31. محمود محمد حمودة، محمد مطلق عساف، فقه الدعوة وأساليبها، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن 2000م.
32. وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة بيروت، ط1971/3م.

الهوامش:

[1] جاء في صحيح مسلم الحديث رقم 5453 عن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير أسمائها))، فالنص هنا يشير إلى خطورة إسقاط تعريفات ومصطلحات ومفاهيم على غير مضامينها، مما يؤدي إلى تمييع الثوابت وتوسيع المحدود وتضييق الواسع والتدخل فيما لا يجوز التدخل فيه أي التحليل والتحريم، ولقد ظهر جليا مصداقية الحديث في واقعنا المعاصر، فنرى أناسا يشربون الخمر يسمونها مشروبات روحية، والتبرج تطور وتقدم، والزنا صداقة، والربا فوائد.، وهذا الفهم لتسمية الأمور بغير أسمائها مشهور ومعروف إلا أن هذا الأمر تشخيص لواقع بعض من يسمون أنفسهم دعاة ومنظرين يسقطون المصطلحات على غير مضامينها، وما يتبع ذلك من تحليل وتحريم أو تكفير أو توسيع وتضييق مفض إلى فهم مضطرب معاكس للقواعد والثوابت، وفي نهاية المطاف إلى الشقاق والخلاف والتقاتل..

فنرى مثلا فريق يسمي الابتعاد عن جماعته شذوذا في النار استنادا لقوله ﷺ: ((يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار))، وفريقا يسمي دعوة الناس إلى حزبه هداية لقوله ﷺ: ((لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم))، فتشاهد خمسة دعاة مثلا من جماعات شتى يتقاتلون لكسب رجل واحد كل يريده إلى صفه، وهنا يبدو بوضوح تسمية الأمور بغير اسمها، ونرى طائفة أخرى تسمي الأخوة الإيمانية الواردة في الآية: (إنما المؤمنون إخوة) ما يكون بين أعضاء الجماعة الواحدة وتنسى معاني الأخوة الإيمانية مع جميع المسلمين، وما أشنع من يسمي كل الجهود (الدعوية) المخالفة لدعوته فرقا ضالة، استنادا لقوله ﷺ: ((إن بني إسرائيل قد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وأنتم تفترقون على مثلها كلها في النار إلا فرقة))، ولهذا الخلل نتائج منها الاتصاف بالازدواجية، فشخصيته مع أحبابه تختلف عن شخصيته في المجتمع وتختلف عنها حين (دعوة) الناس...

وهذا كله يمكن تصنيفه ضمن الإرهاب الفكري الذي يخوف به البعض أتباعه بتحميل النصوص ما لا تحتمل، وذلك بتأصيل تسمية بعض الأمور بغير أسمائها، لعلمهم بانصياع الناس إلى قال الله وقال: (رسول الله ﷺ) فيرهبون كل من ظهرت عليه علامات الاستقلال والابتعاد والخروج فيقولون أما سمعت حديث الرسول ﷺ يقول: ((من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه))، وما أكثر ما يرفع شعار - الولاء والبراء – وتفسيره عند بعضهم أن يتبادل المعني الأخوة والمحبة بين أفراد حزبه وهذا هو الولاء، ولا بد من الخصام والغيبة والإساءة والسلوك الجاف مع غير حزبه من أهل الطرائق والمذاهب الأخرى من المسلمين الموحدين وهذا هو البراء. كل هذا بسبب العبث في المصطلحات وتسمية الأمور بغير أسمائها.

[2] انظر محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، مادة "العلم" مج6، ص584، بيروت - دار المعرفة. ط1971/3م.

[3] حسن صعب: علم السياسة، ص18، بيروت، دار العلم للملايين، ط1985/8م. وعلى سبيل المثال فقد أثر عن بول فاليري أنه قال في وصف السياسة: " لقد ظلت السياسة زمانا طويلا وهي عبارة عن فن منع الناس من الدخول في ما لا يهمهم، أما الآن فقد أصبح للسياسة معنى آخر هو فن تعريف الناس بالأمور التي يجهلونها ". انظر: حسن الحسني، الإعلام والدولة، ص342. عن الإعلام والدعاية، د. عبد اللطيف حمزة، ص63.

[4] انظر: الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وأفاق المستقبل، محمد شمس الحق صديق أحمد، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ط2001/1م، ص 43.

[5] مثاله ما أخرجه البخاري عن أنس ﷺ يقول: ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر؛ أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)) صحيح البخاري:10، كتاب النكاح، 1، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث5063، الجزء9، ص5 -6 من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث القاهرة، ط2/1988م.

[6] مثاله ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: ((صلوا كما رأيتموني أصلي)).(صحيح البخاري 10، كتاب الأذان، 18، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة، رقم الحديث 631، ج2، ص31-132 من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الديان للتراث القاهرة، ط2/1988م.

[7] ابن منظور: لسان العرب ج 7، ص397، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1992 م.

[8] انظر: الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط3/1985 م، ج1، ص186.

[9].أخرجه البخاري في:10 - كتاب الأذان:18، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة، رقم الحديث: 31 ج2، ص131-132 من فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث القاهرة، ط2/1988م.

[10] لأن الصلاة فريضة عينية لا تبرأ ذمة شخص إذا قام بها غيره، مما جعل دلالة مصطلح الصلاة تتواتر وتتواصل عبر الأجيال دونما انقطاع، الأمر الذي جعل الناس على بينة من الأمر في فهم المدلول الدقيق لمصطلح الصلاة. أما مصطلح الدعوة لم تشهد صورته التطبيقية ذلك التواصل الذي شهده مصطلح الصلاة؛ فقد مرت الترجمة العملية لمصطلح الدعوة بفترات من الخمول والانقطاع، أدت إلى ضياع الصورة الأصلية وبروز صور أخرى تحيد عن الأصل كلا أو جزءا، شكلا أو مضمونا. انظر: الإعلام في القرآن الكريم، عبد القادر حاتم، ص393-394، لندن، فادي برس، ط (د.ت).

[11] الشيخ بدر الدين البعلي: مختصر فتاوي ابن تيمية، ص310، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(د.ت)

[12] انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ج1، ص16.

[13] أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1987م، ص10.

[14] حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، دار إشبيليا، الرياض، ط2، 1997م، ص23-24.

[15] محمود محمد حمودة، محمد مطلق عساف، فقه الدعوة وأساليبها، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، 2000م، ص11.

[16] انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص14-19، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1959م.

[17] راجع: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص14-22.

[18] محمد نوح، منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبيه التربوي والدعوي، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى 2011م. ص 23-25

[19] فتحي يكن، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، مؤسسة الرسالة بيروت لبان، ط16، ص 39.

[20] انظر: الطيب برغوث، منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، الطبعة الأولى، 1996م، ص67.

[21] راجع: أحمد عيساوي، دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، ج1، دار الكتاب الحديث القاهرة، ط2012/1، ص: 26-32. راجع أيضا: أحمد عيساوي، منهجية البحث في عملية الاتصال الدعوي، دار الكتاب الحديث القاهرة، ط2012/1، ص: 78-83.

[22] سيد محمد سيد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الطبعة الأولى/1986م، ص:45.

[23]- محمد يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1310ه، ص104.

[24]-الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص194.

[25] انظر: لسان العرب لابن منظور، ج4، ص361.

[26] وهي الجنة. وانظر: تفسير أبي السعود، ج4 ص137، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط (د.ت).

[27] أي "دين الإسلام " انظر: تفسير الخازن: مج3، ص308، بيروت، دار المعرفة، ط (د.ت).

[28] وهو "الإسلام الذي عبر تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة إبراهيم" انظر: تفسير أبي السعود، ج5، ص149.

[29] الخير كناية عن الإسلام، انظر: تفسير الخازن، مج1، ص268.

[30] وهي الإيمان بسائر المعتقدات والأحكام التشريعية الثابتة التي لا يكون المرء مسلما إلا بها.

[31] انظر: الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل، محمد شمس الحق، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص: 47-48، ط2001/1م.

[32] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ج2، ص544.
أخرجه البخاري في: 64- كتاب المغازي: 60- باب- بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث: 4347، ج7، ص661-662 من فتح الباري بشرح صحيح البخاري.
[33] انظر: الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل، محمد شمس الحق، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص 53.
[34] باستثناء بعض الهيئات أو الجمعيات والدعاة مثل: الجمعية العالمية للدعوة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي .. أو بعض الجهود الشخصية والفردية من أمثال الداعية الدكتور عبد الرحمن السميط في شرق إفريقيا، ووحيد الدين خان الهند...، ولكنها في مجملها تبقى جهودا محدودة لم تبلغ حد كونها مشرع أو شعور مسؤولية أمة التوحيد تجاه الأمم الأخرى.
[35] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2، ص513-514، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1987م.
[36] انظر: الكشاف للزمخشري، ج2، ص346، دار المعرفة بيروت، ط(د.ت).
[37] انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج4، ص295، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط4، 1987م.
[38] انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج4، ص 506، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط4، 1987م.
[39] انظر: حياة الصحابة، يوسف الكاندهلوي، ج1، ص121، دمشق، دار القلم، ط5، 1987 م.
[40] انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ج1، ص16.
[41] انطلاقا من قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) سورة النساء، الآية: 48. وقوله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) أخرجه البخاري عن عبادة ﷺ في:60- كتاب الأنبياء: 47- باب قوله تعالى:(يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) (رقم الحديث: 3435) الجزء 6، ص546- 547 من فتح الباري بشرح صحيح البخاري. وقوله ﷺ لمعاذ: (يا معاذ! هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله)؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: (فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا)، فقلت يا رسول الله! أفلا أبشر به الناس؟ قال: (لا تبشرهم فيتكلوا)) أخرجه البخاري - كتاب الجهاد: 46 – باب اسم الفرس والحمار، ج6، رقم الحديث: 2856، ص69 من فتح الباري. وقوله ﷺ في حديث قدسي: (يقول الله ﷻ أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من الإيمان، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله أو ذكرني أو خافني في مقام) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن انس بن مالك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، الجزء 1، ص70.
[42] سورة الأنفال، الآية:1. ويدل عليه قول موسى لأخيه هارون لما ذهب لميقات ربه: (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) سورة الأعراف:142.
[43] وفي رواية ابن ماجة (وإن عبدا حبشيا) وفي الترمذي وسنن أبي داود (وإن عبد حبشي).
[44] رواه أحمد وأبو داود، والترمذي إلا أنهما لم يذكرا الصلاة، قال محمد ناصر الدين الألباني: سنده صحيح، وقال الترمذي حسن صحيح وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع ق1/89. انظر الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ج1، ص58.
[45] محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص692-693، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
[46] انظر: تفسير أبي السعود، ج1، ص36، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
[47] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج1، ص184، دار الكتاب العربي.
[48] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7، ص161.
[49] الألوسي، روح المعاني، ج8، ص77، بيروت، دار الفكر، ط1983م.
[50] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص209.
[51] وقد يجوز توجيه صيغة الإنذار إلى زمرة المؤمنين مجازا لا حقيقة. ولكن التعبير القرآني في حين إرادة تذكير المؤمنين بالنار يرد في الغالب الأعم بصيغة "اتقوا النار" كما هو ملحوظ في قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي أعدت للكافرين) (سورة آل عمران: 130-131).
[52] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص363.
[53] المرجع السابق، ج3، ص362.
[54] انظر: الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل، محمد شمس الحق، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص57.
[55] ابن منظور: لسان العرب، مج1، ص486.